تحديات تعليم البنات فى مصر الحديثة
١٨٣٢ – ١٩١٩ م

دكتوره/ غادة خميس شعبان موسى (*)

الملخص العربي

تناولت الدراسة تطور تعليم البنات في مصر خلال الفترة من ١٨٣٢ إلى١٩١٩م ، عبر مسارين رئيسيين ؛ المسار الحكومي الذى بدأ في عهد محمد علي باشا (١٨٠٥–١٨٤٨م) بتأسيس مدرسة الولادة بأبي زعبل عام ١٨٣٢م، تم تطور بتأسيس مدرستي السيوفية والقربية في عهد الخديو إسماعيل، واللتين اندمجتا لتكوين مدرسة السنية الابتدائية عام ١٨٨٩، إيذانا ببداية التعليم الثانوي. كما أُنشئت مدرسة عباس حلمي للبنات بالقاهرة، وشملت الجهود لاحقًا التعليم العالي للفتيات. مع إنشاء الجامعة الأهلية . المسار الأهلي لتعليم البنات الذى بدأ ونما من خلال الإرساليات التبشيرية، والجاليات الأجنبية، والطوائف الدينية، التي أسست مدارس متنوعة الجنسيات في عدة مدن مصرية، إلى جانب مدارس الأقباط والجمعيات الإسلامية كجمعية العروة الوثقى. على الرغم من الفوائد الناجمة عنها ، إلا أن لها سلبيات عدة مثل هيمنة اللغات الأجنبية وضعف التوجه الوطني. والجدير بالذكر أن كلا المسارين تطورا بالتوازي واندمجا أخيرا في توجه مشترك نحو تعزيز تعليم البنات .

ومن جانب أخر سلطت الدراسة الضوء على جهود بعض المفكرين المصريين في تحدي المواقف التقليدية المتزمتة، ودعم تعليم المرأة، ما ساعد على إرساء وعي متزايد بأهمية تعليم البنات.

خلصت الدراسة إلى أن التعليم الرسمي للبنات خلال هذه الفترة كان تعبيرا طبيعيا عن التحولات الاجتماعية والفكرية في مصر، ومهد لنهضة تعليمية حقيقية للمرأة، رغم محدودية الإنجازات آنذاك ، و غياب استراتيجية تعليمية واضحة لدى الدولة، إلا أنه قد تضافرت الجهود الحكومية والأهلية لتشكيل قاعدة مهمة لتعليم البنات في القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: المسار الرسمى للتعليم، المسار الأهلى للتعليم، فلسفة تعليم البنات، منافع التعليم ونوعية المعارف

---

* مدرس تاريخ حديث ومعاصر – كلية التربية – جامعة دمنهور

Abstract

This study examines the development of girls' education in Egypt during the period from 1832 to 1919, highlighting two primary tracks:
The **formal path of education**, which began under the rule of Muhammad Ali Pasha (1805–1848) with the establishment of the Midwifery School in Abu Zaabal in 1832. This path continued with the founding of the Suyufiyya and Qarabiyya schools during the reign of Khedive Ismail. These two schools later merged to form the Saneyya Primary School in 1889, marking the beginning of secondary education for girls. Further progress was made with the establishment of Abbas Helmy School for Girls in Cairo, and later efforts extended to higher education with the founding of the National University, which welcomed female students.

The **private path of education** emerged and grew through the efforts of missionary missions, foreign communities, and religious groups. These entities established schools of various national affiliations in different Egyptian cities. This included Coptic schools and those founded by Islamic associations such as Al-'Urwa al-Wuthqa. While these efforts offered many benefits, they also presented challenges, such as the dominance of foreign languages and a lack of national identity in educational content. Notably, both educational tracks developed in parallel and eventually converged in a shared goal: promoting girls' education.

The study also highlights the contributions of Egyptian intellectuals who played a significant role in challenging rigid traditional attitudes and advocating for women's education, which gradually fostered greater societal awareness of its importance.

In conclusion, the study finds that formal girls' education during this period was a natural reflection of Egypt's social and intellectual transformations. Despite the limited achievements and the absence of a clear educational strategy from the state, the combined efforts of governmental and private institutions laid a crucial foundation for the advancement of girls' education in the twentieth century.

Keywords: Formal path of education, Private path of education, Philosophy of girls' education, Benefits of education and nature of knowledge.

شهد القرن التاسع عشر تحولات جذرية على المستويات السياسية والاقتصادية–الاجتماعية والتعليمية والثقافية أسهمت فى إحداث نقلات نوعية جد مهمة. وفى هذا السياق، تبوأ التعليم قمة اهتمام الحكومة المصرية بغية توفير كوادر متخصصة فى الإدارة والمؤسسات والوظائف الفنية التى تلزم مشروعات التحديث. ورغم التركيز بالأساس على تعليم الذكور الذى اتخذ جهد الحكومة والأهالى الأكبر، فثمة تجارب ضئيلة اختصت بتعليم الإناث.

وجدير بالذكر أن الوضع العام لحقوق المرأة وحرياتها كان فى مراحله الأولية. وهنا، تكمن أهمية هذه الدراسة التى تسبر أغوار إرهاصات وتحديات ومعوقات وإشكاليات تعليم البنات فى مصر الحديثة.

وتقع الفترة الزمنية للدراسة بين عامى ١٨٣٢– ١٩١٩م. ويرجع سبب اختيار سنة البداية، ١٨٣٢م، لأنها شهدت ميلاد مدرسة الولادة (القابلات) التى تَعد أول مدرسة رسمية للبنات فى مصر. وقد انتهت مدة الدراسة بعام ١٩١٩ م ، الذى شهد أول ثورة شعبية فى تاريخ مصر، وترتب عليها تغييرات جذرية فى بنية الأمة طالت جميع الشرائح وفى كل الاتجاهات والتوجهات.

وتطرح الدراسة جملة تساؤلات. هل كان طريق تعليم البنات يسيراً؟ ما هى أهم معوقات تعليم البنات وكيفية مواجهتها؟ ما هى النظرة المجتمعية لتعليم البنات؟ ما هى نظرة الأهالى فى المدن والريف إزاء تعليم البنات؟ هل أسهم المفكرون فى قضية تعليم البنات إيجابياً أم سلبياً؟ هل أسهمت الصحافة فى تشجيع الأهالى والحكومة على تعليم البنات؟ هل كان تعليم البنات ضرورة مجتمعية وفكرية؟ وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، تم تقسيم الدراسة إلى أربعة محاور: المسار الرسمى، المسار الأهلى، فلسفة تعليم البنات، منافع التعليم ونوعية المعارف.

المسار الرسمى

بدأ التعليم الرسمى للبنات فى مصر خلال حكم الوالى محمد على باشا (١٨٠٥–١٨٤٨م) بتأسيس مدرسة الولادة (القابلات) بأبى زعبل فى عام ١٨٣٢ م. بعد عامين من تأسيس

مدرسة الطب (١٨٣٠م) وقبل هذا التاريخ، اتسم تعليم البنات بصبغة أهلية فيما عدا تعليم بنات الطبقة الفقيرة واليتيمات بغية توفير بعض متطلبات الجيش مثل حياكة ملابس الجنود أو بهدف توفير الرزق لهن بواسطة العمل لبعض الأسرات الفقيرة.[١]

وقد تكونت مدرسة الولادة عند تأسيسها من أغوين وعشر جوارى، نصفهن من السود ونصفهن من الجنسيات. وجدير بالتسجيل أن التجربة الأولية قد نجحت بشكل ملحوظ مما ساعد الحكومة على زيادة عدد تلميذات المدرسة الذى بلغ ستين تلميذة فى أواخر حكم محمد على معظمهن من المصريات الفقيرات اللاتى لا عائل لهن أو من بنات الجنود. ولم يكن يشترط فيهن معرفة القراءة والكتابة ، بل كان يكفى أن يكن أبكاراً تتراوح أعمارهن بين ١٢-١٣ عاماً إضافة إلى تميزهن بحسن السير والسلوك. [٢]

واجتماعياً، لم يكن الطريق ممهداً لتنمية هذه المؤسسة التعليمية المختصة بتعليم البنات؛ أن صراعاً قد اندلع بين مجلس شورى الأطباء وديوان المدارس كشف عن مدى الصعوبات التى جابهت مدرسة الولادة. فقد وجد مجلس شورى الأطباء أن تلميذات المدرسة لا تتاح لهن فرصة التدريب على إجراء عمليات التوليد، حيث مضت سنتان ولم تحضر إلى المستشفى للوضع سوى ثلاثة حوامل، ولهذا اقترح مجلس شورى الأطباء بث الدعوة بين الفقيرات الحاملات، على نحو ما هو معمول به فى أوروبا، حتى إذا قربت الولادة، ذهبن إلى المستشفى فوضعن فيه حملهن على أن تتقاضى كل منهن ثلاثين قرشاً ولطفلها ملابس باثنتى عشرة قرشاً مساعدة لهن وتشجيعاً لغيرهن. وبهذا الطريقة تتمكن التلميذات تحت إشراف معلماتهن الطبيبات أن يقمن بعمليات التوليد ويتمكن المستشفى فى نفس الوقت من أن يختار من بين هؤلاء النسوة من يحتاج إليه من المرضعات. [٣]

---

(١) سها عبد التواب عبد المجيد جودة: المرأة العاملة فى الصناعة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، فرع بنى سويف، ٢٠٠١، ص ص ١٦- ١٧.

(٢) أ.ب. كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١١م، ص ص ٦٠٨-٦٠٩؛ أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر عصر محمد على، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٢٩٤.

(3) أمين سامى باشا: تقويم النيل، ستة أجزاء، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩، الجزء الثانى، ص ٤١٨، ٤٧٥، ٤٨٢.

احتج ديوان المدارس على هذا الإجراء لأنه يتنافى مع عادات المرأة الشرقية فى عمليات الولادة ويكلف الخزانة الحكومية نفقات باهظة. وعلى هذا، اقترح ديوان المدارس أنه كلما دعيت معلمة بالمدرسة إلى توليد إحدى السيدات فى منزلها، صحبتها بعض التلميذات لمساعدتها والإفادة مما تشاهدن. وبعد سلسلة من المراسلات بين مجلس شورى الأطباء وديوان المدارس، استقر الرأى على أن تُجلب السيدات الحوامل إلى المستشفى وفق رغباتهن، وتقمن فيه على نفقة الحكومة، وعند خروجهن منه تمنح كل واحدة منهن بعض الملابس.(٤)

وعلى هذا النحو، نقص عدد تلميذات المدرسة حتى أصبح تعدادها حوالى ثلاثين تلميذة يتم اختيارهن بعناية فائقة. وكان عدد من تخرجه المدرسة من الطبيبات يتراوح بين ٤إلى ٦ سنوياً، وتشتغلن طبيبات بأقسام القاهرة والأقاليم أو معيدات بالمدرسة، وقد نقلت مدرسة الولادة فى عام ١٨٣٧من أبى زعبل إلى قصر العينى داخل مدرسة الطب، ثم نقلت بعد أشهر إلى المستشفى الملكى الذى تأسس فى الأزبكية. وكانت هذه المدرسة واحدة من المدارس القلائل التى حافظ عليها الوالى المصرى عباس باشا الأول (١٨٤٩– ١٨٥٤م).(٥)

ومنذ عام ١٨٤٦م، قامت بالتعليم فى مدرسة الولادة طبيبة أوروبية تسمى صوفى. وكانت تساعدها معلمة مصرية من خريجات المدرسة وهى خديجة أفندى تمرهان التى تعد أول موظفة فى تاريخ مصر الحديث. وجدير بالتسجيل أن التقارير السنوية كانت تفيض شكراً على إخلاص خديجة أفندى تمرهان وكفايتها وتوصى بترقيتها. وعندما انتهى عقد الطبيبة الأوروبية فى أكتوبر ١٨٥٠م، خلفتها تمرهان وساعدتها معيدتان من خريجات مدرسة الولادة.(٦)

ومع كل هذه الجهود، تم إلغاء مدرسة الولادة – مع مدرسة الطب– فى مطلع حكم الوالى المصرى سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) بسبب اختلاف الأهواء والنزعات. بيد أن (كلوت بك) الطبيب الفرنسى ومدير مستشفى القصر العينى أعاد تنظيم مدرسة الطب ومعها مدرسة الولادة وألحقهما بقصر العينى. ورويداً رويداً، أثبتت مدرسة الولادة جدارتها لفائدتها بالنسبة للنهضتين الاجتماعية والصحية. وغدت خريجاتها مطلوبات لتوليد النساء والكشف على المتوفيات بدلاً من زوجات حلاقى الصحة، ويلاحظ أن الطبيب الفرنسى كلوت بك قد أولى اهتماماً ملحوظاً بمدرسة الولادة كما ثبت من تحديث آلية الدراسة بها. ففى المرحلة الأولية ، ركزت العملية الدراسية بتعليم

(٤)نفسه: ص ص ٤٨١-٤٨٢؛ أحمد عزت عبد الكريم: عصر محمد على، مرجع سابق، ص ٢٩٥.
(٥) أحمد عزت عبد الكريم: عصر محمد على ، مرجع سابق، ص ص ٢٩٨-٢٩٩.
(٦) عبدالله إمام: صفحات من تاريخ المرأة المصرية، الكتاب الذهبى، السنة ٣٣، العدد الأول، يناير ١٩٨٧م ، ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

التلميذات اللغة العربية حتى تتقن القراءة والكتابة، وبتدريس قواعد الحساب والهندسة، وبإلمام مبادئ عامة فى التشريح والفسيولوجيا والجراحة وأمراض النساء والأطفال. ومن الناحية التطبيقية، ألحق بالمدرسة مستشفى للنساء ودار للتوليد ومكتب للتطعيم وفيه تجرى التلميذات بأنفسهن عملية التوليد تحت إشراف معلمة طبيبة وطبيب. وقد استغرقت مدة الدراسة ست سنوات .[٧]

ويلاحظ أن كثيراً من خريجات المدرسة مارسن عملهن بنجاح، وقد أُلحق بعضهن بالخدمات الصحية بالقاهرة والإسكندرية والمدن الإقليمية المهمة. وقد قام بعملية التطعيم ضد الجدرى فى القاهرة نساء مسلمات– هن خريجات مدرسة الولادة– وتمخض نشاطهن عن محاصرة هذا المرض. ويكفى دليلاً على نجاحهن أنهن لحقن فى القاهرة فقط حوالى من ستة إلى سبعة آلاف مريض سنوياً [٨]

وفى زمن الحاكم إسماعيل باشاً (١٨٦٣– ١٨٧٩م) آلت نظارة مدرسة الولادة إلى السيدة الفرنسية مدام فيال، وكان تعدادها أربعة وأربعين طالبة داخلية وخارجية. وثمة ما يلفت النظر فى هيكل الطالبات آنذاك هو أن جميع تلك البنات كن تحضرن الدروس وهن حاسرات الرءوس لا طرح عليها كأنهن غربيات دون أن يستنفر ذلك أحداً. ويلاحظ أيضاً أن خريجات هذه المدرسة لم تكن قابلات فقط ، بل كن حكيمات أيضاً انتشرن فى ربوع القاهرة وشتى عواصم المديريات لأداء مهام وظائفهن على أكمل وجه.[٩]

ويلاحظ أن هذه المحصلة زمن الخديو إسماعيل باشا قد قفزت بالتعليم الحكومى خطوة أوسع فيما تجلى فى تأسيس مدرستى السيوفية والقربية. وقبل أى شئ، يجب إقرار حقيقة جد مهمة مفادها أن تأسيس هاتين المدرستين للبنات يعد علامة مفصلية على سبيل التعليم الحكومى للبنات فى مصر. إذ كان هذا التعليم قبل الخديو إسماعيل ضئيلاً جداً عدا مدرسة الولادة ذات الصبغة الخاصة، ومن

---

(٧) أحمد ع زت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر عصرى عباس الأول وسعيد، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م، ص ص ٢٣٩-٢٤٢.

(٨) أمين سامى: تقويم النيل، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ص ٣٠٣- ٣٠٦؛ لافيرن كونكة: أرواح فى خطر- الصحة العامة فى مصر القرن التاسع عشر، سلسلة مصر النهضة، رقم ٩٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ص ٢٠٥-٢١٠، ٢٢٦- ٢٣٠.

(٩) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر- عصر إسماعيل، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م، الجزء الرابع، ص ص ٤٧٥-٤٨٠.

ثم، لم يكن فى مصر مدارس حكومية لتعليم البنات، مما جعل الجهل مخيماً عليهن باستثناء بعض البنات اللاتى كن يتعلمن فى منازل آبائهن وأهاليهن. ، وكان عددهن قليلاً.[١٠]

وفى هذا السياق أقامت الأميرة جشم آفت هانم- زوجة الخديو إسماعيل باشا الثالثة- مدرسة للبنات فى حى السيوفية بالقاهرة عام ١٨٧٢ وفتحت أبوابها للدراسة فى عام ١٨٧٣م. وقررت الحكومة المصرية أن تكون المدرسة مجانية داخلية، وأن تُقبل بها البنات من جميع الشرائح الاجتماعية، ورغم ذلك، أحجم الأهالى- فى الابتداء –عن إرسال بناتهن إليها مما اضطر زوجة الخديو إلى إلحاق بنات الجوارى العاملات عندها وفى قصور أمراء الأسرة الخديوية بالمدرسة السيوفية .[١١]

ولكن لم تستمر هذه الحالة طويلاً؛ إذ سرعان ما أدرك المصريون أهمية التعليم بالمدرسة حتى وصل عددهن إلى مائتى تلميذة. وفى عام ١٨٧٤م بلغ عددهن أربعمائة تلميذة ، تتلقين الدروس مجاناً علاوة على مأكلهن وملبسهن.وعلى مدار خمس سنوات، هى مدة الدراسة، تلقت البنات القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والحساب والجغرافيا والتاريخ والتطريز والنسيج وبعض الصناعات الأخرى. وعلى خلفية الإقبال المتزايد على مدرسة السيوفية وعدم إمكان قبول كل البنات بها، قرر الخديو إسماعيل باشا تأسيس مدرسة القربية بالقاهرة على غرار النسق التعليمى بالمدرسة السيوفية.[١٢]

وحينما اشتدت الأزمة المالية بمصر، اضطرت الحكومة إلى انتهاج سياسة التقشف فى الإنفاق على مدرستى البنات سالفتى الذكر. وعقب عزل الخديو إسماعيل باشا فى عام ١٨٧٩م، تراجع المستوى التعليمى فيهما وانخفض عدد التلميذات بالسيوفية مثلاً إلى تسعة وتسعين تلميذة. وفى عام ١٨٨٨م زمن الخديو محمد توفيق باشا(١٨٧٩-١٨٩٢م) انضمت مدرستا السيوفية والقربية معاً وصارتا تُسمى مدرسة السنية الإبتدائية منذ عام ١٨٨٩م. [١٣]

ورغم ما انتهت إليه تجربة تعليم البنات زمن حكم الخديو إسماعيل باشا ، فإن التجربة تُعد الأولى من نوعها فى العالم الإسلامى مقابل سيطرة مدارس الإرساليات التبشيرية والجاليات الأجنبية على ميدان تعليم البنات. ويعد تعليم البنات وقتذاك علامة ملحوظة ليس فى تاريخ التعليم ، ولا فى

---

(١٠) نفسه: الجزء الثالث، ص ص ٣٥٦-٣٥٩.

(١١) إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩)، جزءان، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٦م، الجزء الأول، ص ص ٢٠٤-٢٠٥؛ عبدالله إمام: المرجع السابق، ص ص ٢٣٣- ٢٣٤

(١٢) أحمد عزت عبد الكريم: عصر إسماعيل، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ص ٣٥٩-٣٦٤ ، ٣٧٦- ٣٧٩..

(١٣)إلياس الأيوبى: المصدر السابق، ص ص ٢٠٧- ٢٠٩ ؛ عبدالله إمام: المرجع السابق ، ص ٣٣٤.

تاريخ الفكر المصرى ، بل وفى مجمل التاريخ المصرى. ولا غرو؛ إذ أن تأسيس مدرستى البنات آنفى الذكر يعد ثورة تعليمية، فلأول مرة يوجد فى مصر نظام تعليم حكومى للبنات خلال القرن التاسع عشر، وبعد سلسلة من التحديات القوية للثوابت الراسخة فى العقل الجمعى لأغلبية الشعب المصرى.

ومنذ وقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢م، كثر حديث الإنجليز عن أهمية تعليم البنات المصريات وضرورة العناية بهن، إذ اعتقدوا بأن ترقية المرأة بالتعليم من شأنه الإسهام فى قبول المصريين لعناصر المدنية الأوروبية والإسهام فى كسر حدة التعصب الوطنى ضد الوجود البريطانى. وعدا مدرسة السنية الابتدائية سالفة الذكر، لم يتوسع الإنجليز فى تأسيس مدارس للبنات. وعند انتصاف تسعينيات القرن التاسع عشر، أقيمت مدرسة عباس حلمى الإبتدائية للبنات بالقاهرة نسبة لخديو مصر عباس حلمى الثانى (١٨٩٢– ١٩١٤م). [١٤]

ومع أن التعليم الابتدائى كان بالمجان، فإن إدارة المعارف المصرية قد اتبعت الإستراتيجية التى وضعتها دولة الاحتلال وخلاصتها أن يكون التعليم بمصروفات. ونظراً لتخلف تعليم البنات عموماً واهتمام الإنجليز بتشجيعه، فقد تقرر أن تنقسم، على سبيل المثال، المدرسة السنية إلى قسمين،أولهما يشمل بنات شريحة الأرستقراطية (الأعيان)، ويكون خارجية بمصروفات (ستة جنيهات سنوياً).ويشمل ثانيهما الفقيرات ويكن داخلية بالمجان. ورويداً رويداً ، وبعد أن اطمأنت إدارة المعارف المصرية إلى إقبال الأهالى على تعليم بناتهن، اتجهت إلى رفع المصروفات حتى بلغت سبعة ونصف جنيهاً للخارجية و خمسة عشرة جنيهاً للداخلية سنوياً. وفى نفس الوقت، ظلت قاعدة منح المجانية سارية. وفى هذا الخصوص، نجد (١٠١) تلميذة تتعلمن مجانياً مقابل (١٧٩) تلميذة تتعلمن بمصروفات فى عام ١٩٠١م.[١٥]

وفى عام ١٩٠٢، قررت إدارة المعارف المصرية إلغاء المجانية من مدارسها. ونظراً لضرورة تشجيع تعليم البنات، استثنت مدرسة عباس الابتدائية للبنات قبول عشر تلميذات من بنات العاملين بمصلحة السكك الحديدية بالمجان بمقتضى عقد الاتفاق الذى تم بين إدارة المعارف وهذه

(١٤) جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ١٨٨٢-١٩٢٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦ ، ص ص ٧٢-٧٣ ، ٢٠٨- ٢٠١٠.

(١٥)نفسه: ص ص ٢١٢- ٢١٥.

المصلحة مقابل تحمل الأخيرة تكاليف بناء المدرسة، كما استثنت قبول خمسة وعشرين تلميذة من الفقيرات مجاناً.[١٦] وبناء على هذه المتغيرات ، أرتأت إدارة المعارف المصرية ضرورة تنظيم قواعد المجانية، فأصدرت لذلك لائحة عام ١٩٠٨م، نصت على أنه يشترط لمنح المجانية أن تكون التلميذة مصرية الجنسية وغير قادرة على دفع المصروفات وألا تتعدى السن المحدد (٩-١٣سنة وفقاً لسنوات الدراسة الأربع) وأن تجتاز امتحان القبول بنجاح.[١٧]

وقد نصت اللائحة على أن تكون المجانية مدة الدراسة، ولكن يمكن إلغاؤها فى حالة سوء السلوك أو الرسوب فى الامتحان. وبذلك ، أصبحت نسبة ضئيلة من تلميذات مدرسة عباس الإبتدائية تتمتعن بالمجانية حسب هذه اللائحة. ولكن هذا لم يمنع إدارة المعارف المصرية من الاستمرار على خطتها فى رفع المصروفات لتتناسب مع حجم الإنفاق الفعلى على التلميذات. فمثلاً، عند افتتاح مدرسة محرم بك للبنات بالإسكندرية عام ١٩١٧ م قررت إدارة المعارف المصرية لها مصروفات قدرها اثنتى عشر جنيهاً للخارجية الأمر الذى دفع ثلاثة وثلاثين فتاة للانسحاب من المدرسة بسبب ارتفاع المصروفات. وبناء على هذا ، قرر مجلس المعارف تخفيض المصروفات إلى تسع جنيهات تشجيعاً لتعليم البنات. [١٨]

وبجانب الجهود الحكومية سابقة الدراسة، ثمة قنوات تعليمية جد مهمة وذات دلالة لاستكمال الصورة الرسمية لتعليم البنات فى مصر. وفى هذا الشأن، تجدر الإشارة إلى مدارس الخدم زمن الخديو إسماعيل باشا. إذ لما كانت عزيمة إسماعيل باشا قد عزمت على إبطال الرق نهائياً، وكان لابد من عاملات تقمن بخدمة البيوت، بدل الرقيقات، فرأى إسماعيل باشا تأسيس مدرسة تتعلم فيها بنات ريفيات فقيرات شئون الخدمة المنزلية على أنواعها، فأسسها فى القاهرة على نفقة الأميرة نور فلك هانم زوجته الأولى، ورعاية إدارة المعارف المصرية وعهد بالنظارة عليها الى سيدة أوروبية، وضع تحت إدارتها ثمانى معلمات، منهن واحدة أوروبية، وأدخل فيها ستة وسبعين طالبة داخلية واحدى وسبعين طالبة خارجية. وبهذا الشكل، ظهرت إلى الوجود ، وتعد من أحسن المدارس المصرية وأكثرها فائدة . [١٩].

كما تتجلى أيضاً الكتاتيب على رأس هذه القنوات.وتجدر الإشارة إلى أن الُكتاب يعد المدرسة الأولية لتعليم البنات فى مصر. وقد استمر هذا الوضع إبان القرن التاسع عشر حتى تسلمت

---

(١٦)فهرست القرارات والمنشورات الصادرة فى سنة ١٩٠١، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، ١٩٠٢، ص ص١٠١- ١٠٢.

(١٧) يعقوب أرتين: القول التام فى التعليم العام، ترجمة : على بهجت، الطبعة الثانية، المركز القومى للترجمة، رقم ١٤٤٧ ، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ص ٢٤-٢٥.

(١٨)جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطانى ، مرجع سابق، ص ص ١١٦-١١٩ .

(١٩ إلياس الأيوبى: المصدر السابق، ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

إدارة المعارف مهمة الإشراف على الكتاتيب فى عام ١٨٨٩ م بسبب سوء أوضاعها لاسيما التابعة للأوقاف. واتسمت الدراسة فى هذه الكتاتيب، سواء كانت أميرية أو أهلية، بالاختلاط بين البنات والبنين. ويلاحظ منذ عام ١٨٩٥م، ظهور البنات فى الإحصائيات الخاصة بكتاتيب الحكومة حيث بلغ عددهن (١٣٩) بنتاً. وعند انتصاف العقد الأول من القرن العشرين، ازداد عددهن إلى (٢١٣٥) تلميذة علاوة على (١٨٧٤م) تلميذة كن يتعلمن فى الكتاتيب الخاصة التابعة لتفتيش المعارف. ويعد عام ١٩٠١م ميلاد أول كُتاب حكومى للبنات فقط وقبل أن يلفظ العقد الأول من القرن العشرين أنفاسه، ازداد عدد كتاتيب البنات إلى ثلاثة عشرة كُتاباً شملت (٢٠٤٩) تلميذة .[٢٠]

وبخلاف مراحل الكتاتيب والإبتدائية سالفة الدراسة، لوحظ وجود، اهتمام رسمى، وإن كان خافتاً ، بمرحلتى التعليم الثانوى والعالى للبنات خلال الفترة محل الدراسة. ففى أوائل القرن العشرين، وتحديداً عام ١٩٠٩ م، أى بعد تأسيس مدرسة الولادة بسبع وسبعين سنة، وبعد تأسيس المدرسة السيوفية بأربعين عاماً ، بدأت المحاولة الجنينية لإتاحة التعليم الثانوى للبنات عندما تأسس بمدرسة السنية قسم ثقافى. وقد أُتيح للتلميذات الحاصلات على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية الالتحاق بقسم المعلمات على أن يدرسن المواد الثقافية فقط دون المواد الخاصة بالإعداد المهنى. كما سمح لغير الحاصلات على شهادة الابتدائية فرصة الالتحاق بهذه الدراسة الثقافية شريطة النجاح فى امتحان القبول الذى تعقده المدرسة.[٢١]

وفيما يتعلق بالتعليم العالى، فقد اهتم القائمون على تأسيس الجامعة الأهلية بإلحاق الفتاة بهذا النوع من التعليم الجديد. وقد اتخذ حضور الفتيات للجامعة نمطين. أولهما، يحضر دروساً خاصة بشئون المرأة، وثانيهما يحضر محاضرات عامة تلقى باللغتين الفرنسية أو العربية عن موضوعات فى التربية والأخلاق والتاريخ. ناهيك أن بعض الأطباء المصريين والأوروبيين كانوا يحاضرون فى الجامعة عن موضوعات متفرقة متعلقة بحفظ الصحة والعناية بالأطفال.[٢٢]

---

(٢٠) Dunne. J, Heywarth: An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1938, PP. 50-٥٣

(٢١) Ibid: p.p." 100- 101.

Ibid: p.p." 100- 101 ؛ أحمد لطفى السيد: صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية سنة ١٩٠٧- ١٩٠٩، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٩٢

(22) سامية حسن إبراهيم : الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م، ص ص ٩١-٩٤ .

وعند هذا الحد، يتضح مما سبق أن الحكومة المصرية منذ حكم الوالى محمد على باشا وحتى عشية اندلاع ثورة الشعب المصرى فى عام ١٩١٩ م قد اهتمت بدرجات متفاوتة بالتعليم الرسمى للبنات. وإذا كان عهد محمد على مؤسس مصر الحديثة قد شهد الميلاد بتأسيس مدرسة الولادة، فإن عصر إسماعيل مؤسس الأمة المصرية قد سجل خطوات قافزة للأمام على درب تعليم البنات بتأسيس مدرستى السيوفية والقربية.ورغم سلبيات الاحتلال البريطانى، فإن تعليم البنات قد تقدم نسبياً على المستوى النوعى بموجب الاهتمام بالكتاتيب وإنشاء مدارس جديدة وإرساء التعليم الثانوى والتقدم صوب التعليم العالى.

وهنا، تتجلى أهمية دلالات الأرقام والإحصاءات الرسمية الخاصة بتعليم البنات. ففى عام ١٨٦٣ م ، بلغ إجمالى البنات اللائى تدرسن فى مصر عشرين تلميذة بمدرسة الولادة فقط. وعند تأسيس المدرسة السيوفية فى عام ١٨٧٢، ارتفع الإجمالى إلى ستة وثلاثين بنتاً. وبعد تأسيس مدرسة القربية فى عام ١٨٧٤م، ازداد العدد إلى(٤٧٩) بنتاً عام ١٨٧٥م. ولكن منذ أواخر عصر الخديو إسماعيل باشا، بدأت الأعداد تتقلص رويداً رويداً. وبعد أن بلغ العدد الذروة عام١٨٧٥ م ، انخفض إلى (٢٤٢) فى عام ١٨٧٩م ؛ سنة عزل الخديو. ثم أخذت الأعداد تتناقص بشدة إثر الاحتلال البريطانى وسياساته التعليمية. ففى سنة بدء الاحتلال، ١٨٨٢م، بلغ العدد (٢٢٠) بنتاً، وبعد عشر سنوات انخفض العدد إلى (١٥٥) بنتاً. ولكن منذ منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر، أخذت الأعداد تزداد شيئاً فشيئاً إثر العناية بالكتاتيب وتأسيس مدارس جديدة (عباس ١٨٩٥، التدبير المنزلى ١٩١٠). وارتفعت الأعداد من (٢٥٣) بنتاً فى عام ١٨٩٥ م إلى (٤١٧) بنتاً فى عام ١٩٠٥م وإلى (٧٤٣) بنتاً فى عام بنتاً فى عام ١٩١٥م.[٢٣]

وحرئ بالذكر هنا أن هذه الأرقام تقتصر فقط على البنات اللاتى تلقين تعليمهن فى المدارس التى أسستها الحكومة ومجالس المديريات؛ أى أنها تخص فقط القطاع الحكومى من تعليم البنات. بيد أن العملية التعليمية للبنات لم تقتصر فقط على الرافد الرسمى؛ إذ كان لها روافد أخرى ومتنوعة وأكثر زخماً على نحو ما سنعرضه حالاً.

---

(٢٣)أحمد عزت عبد الكريم: عصر إسماعيل ، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ص ٣٧٦-٣٧٩؛ شكرى عباس حلمى : التعليم الابتدائى فى مصر، تطوره وأبعاده الثقافية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ص ٤٩-٥٠

المسار الأهلى

أسهمت المدارس غير الحكومية التابعة للإرساليات التبشيرية والطوائف الملية (الدينية) والجاليات الأجنبية فى السياق العام لتعليم البنات فى مصر عندما فتحت أبوابها لتعليم المصريات فى وقت كان فيه التعليم الحكومى غير مستقر إلى حد كبير. وفى هذا الصدد، أقبلت الأسرات الأرستقراطية والعائلات المستنيرة على تعليم بناتهن فى هذه المدارس. وقد ساعد هذا النمط من المدارس على نشر تعليم البنات وأسهم فيه بدرجات مهمة.

ورغم هذه المزايا الايجابية، فثمة سلبيات قد لحقت بهذا اللون من جراء سيطرة اللغات الأجنبية– دون العربية لغة البلاد– على مناهجها التعليمية ، وهو ما يعنى الترويج لثقافات هذه اللغات وحضاراتها. وثمة ملاحظة أخرى مفادها أن أغلبية البنات المصريات اللاتى التحقن بهذه المدارس كن من المسيحيات غالباً ومسلمات أحياناً، وقد شهد عام ١٨٣٥ ميلاد أول مدرسة أجنبية بواسطة السيد ليدز أحد المبشرين الانجليز، ولكن الآنسة هوليداى كانت هى التى تدير المدرسة. وقد ضمت عدداً من البنات المصريات ، قليل منهن مسلمات، ومعظمهن مسيحيات. وقد تعلمن فيها فن التطريز والقراءة والكتابة واللغات الأجنبية. وهكذا ، سبقت الإرساليات الانجليكانية سائر الهيئات الأجنبية فى تعليم البنات بمصر.[٢٤]

وإذا كان منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر قد شهد ميلاد التعليم غير الحكومى، بعد ميلاد التعليم الرسمى بثلاث سنوات فقط، فإن النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد شهد التطورات السريعة والملاحقة فى ميدان تعليم البنات بالمدارس غير الحكومية.

وتأكيداً لما سبق نرصد الملامح العامة لمدارس البنات فى مصر التى أقامتها الجاليات الأجنبية والإرساليات التبشيرية التابعة لها. ففى عام ١٨٥٥، افتتحت مدرسة يونانية للبنات بالإسكندرية تكون هيكلها التعليمى فى البداية من ناظرة ومدرسة فقط. وثمة ما يجدر تسجيله هنا أن رئيس الجالية اليونانية بالإسكندرية قد بذل محاولات عديدة لرفع مستوى تعليم البنات بالإسكندرية. إذ

(٢٤). عبدالله إمام: المرجع السابق، ص ص ٢٢٠-٢٢١

كانت لديه قناعة بأن أحسن وسيلة لتقوية شعور الفرد نحو البلد الذى يعيش فيه أن تعطيه نوعاً من التعليم يتماشى مع حاجات البيئة التى يعيش فيها. ونظراً لنجاح تجربة تعليم البنات فى المدرسة اليونانية، فقد تم بناء مدرسة ابتدائية ثانية للبنات فى عام ١٨٩٤. (٢٥)

وفى عام ١٨٥٩م، افتتحت جماعة إخوان كلاريس الفرنسيسكانيات مدرسة للبنات بالقاهرة. وكانت أغلب تلميذاتها من البنات الايطاليات وأقلية من البنات المصريات. وفى عام ١٨٧٥م، قامت جماعة الأخوات الفرنسيكانيات بتأسيس مدرسة سميت بـ " معهد الفرنسيسكان" ،وكان بها اثنى عشر معلمة و (١٤٧) تلميذة. وكان قوام برنامجها التعليمى من اللغات الايطالية والفرنسية والعربية ومواد الحساب والجغرافيا والتاريخ وأشغال الإبرة والتطريز. ووجدت مواد اختيارية هى الألمانية والإنجليزية والعزف على البيانو والأناشيد. (٢٦)

وفى عام ١٨٦٦م، بدأ التعليم الألمانى يظهر فى شكل مدارس ألمانية تبتغى نشر الثقافة الألمانية بافتتاح أول مدرسة من هذا النوع بالإسكندرية، وفى عام ١٨٧١م وبعد نجاح الوحدة الألمانية، كان ثمة مدرستان ألمانيتان بالإسكندرية إحداهما للبنين والأخرى للبنات وبها معلمتان و ستة وعشرين تلميذة. وفى القاهرة، تأسست مدرسة للبنات فى عام ١٨٧٤.وفى ٣٠ يوليو ١٨٨٤م، وصلت ثلاث راهبات ألمانيات من جمعية سان كارل بوريمى وبدأن عملهن يوم ٧ أغسطس ١٨٨٤ م فى المدرسة الألمانية، وكان عدد تلميذات المدرسة أربعين بنتاً قُسمن إلى مرحلة حضانة وفصلين ابتدائيين. وبدأت المدرسة تتلقى طلبات لتأسيس قسم داخلى، وهو ما تحقق بالفعل فى عام ١٨٩١م. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤م، كان عدد تلميذات المدرسة الألمانية (٤٠٠) تلميذة من كل الجنسيات وضمنهم المصريات. بيد أن التلميذات الألمانيات قد غادرن البلاد مع أولياء أمورهن الذين صدر ضدهم الأمر بمغادرة القطر المصرى لأنهم صاروا من رعايا الدول الأعداء التى تحارب بريطانيا. وفى عام ١٩١٥م ، صدر أمر بمغادرة الراهبات الألمانيات مصر. وبذا، أجهضت واحدة من أفضل آليات تعليم البنات فى مصر بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى والتداعيات السياسية الناجمة عنها (٢٧)

وإذا كانت التجربة الألمانية لتعليم البنات قد تلاشت على النحو السابق ، فإن نصيب التجربة الأمريكية كان أوفر وثمارها أفضل وآثارها أبقى. ففى عام ١٨٦٠م، افتتحت مدرسة البنات الأمريكية.

---

(٢٥) جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، القاهرة، ١٩٦٣ ، ص ص ٧٥- ٧٩؛ سيد عشماوى: اليونانيون فى مصر ١٨٠٥-١٩٥٦، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص ١٨- ٢٠.

(٢٦) إلياس الأيوبى : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص ٢١٩- ٢٢٠ .

(٢٧) جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبى ، مرجع سابق ، ص ص ٨٠-٨٢ .

بالقاهرة، كما افتتحت مدرسة ثانية للبنات فى حى الأزبكية حيث بلغ عدد التلميذات بها مائة بنت. وفى عام ١٨٦٢م، تبرع الوالى المصرى سعيد باشا لها بمبان عند مدخل شارع الموسكى. وفعلاً، انتقلت مدرسة الأزبكية للبنات الى المبنى الجديد، الذى أتصف بموقع جغرافى حيوى وسط القاهرة مما أدى إلى زيادة عدد التلميذات من (١٠٠) إلى (٢٥٠) تلميذة. ورغم انتقال المدرسة إلى شارع الموسكى ، فإن مدرسة حارة السقايين ظلت تقوم بدورها [٢٨]

وفى عام ١٨٦٤، افُتتح قسم داخلى بمدرسة البنات بالأزبكية حيث بدأ بسبع تلميذات سنة ١٨٦٦م، ثم ازداد العدد إلى ستة عشرة تلميذة فيما بعد. وقد أغلق القسم الداخلى حتى أكتوبر ١٨٧٤ م حيث أُعيد افتتاحه، وكان ذلك بحى الفجالة بالقاهرة. ولعل السبب فى افتتاح القسم الداخلى للبنات هو استحالة فتح مدارس للبنات بالأرياف أو فى المدن الإقليمية نظراً لعدم وجود المدرسات وعدم إمكان إسكانهن علاوة على عدم رغبة المدرسات أنفسهن فى الاغتراب من أجل التدريس فى مثل هذه المدارس. كما أن عادات الناس فى ذلك الوقت كانت لا تُفضل ذهاب البنات وإيابهن فى الشوارع بعد وصولهن إلى سن المراهقة. [٢٩]

وكان القسم الداخلى فى بناية مؤجرة بالفجالة، وكان أولياء الأمور يأتون إلى المدرسة يومياً ، وأحياناً كانوا يرغبون فى المبيت بالمدرسة مع بناتهم وكانوا يتدخلون فى نوع الأكل المقدم للبنات وكيفية نومهن. وقد استمر ذلك مدة فى ابتداء الأمر ثم قل تدريجيا بمرور الوقت. وقد ازداد عدد القسم الداخلى إلى أحد عشر تلميذة فى عام ١٨٧٥ وثمانى عشر تلميذة عام ١٨٧٦م. وفى العام الأخير ، انضمت مدرسة الأزبكية للبنات إلى المدرسة الداخلية. وفى عام ١٨٩٦، بلغ عد التلميذات (٣٦٠) تلميذة منهن تسع وثمانين تلميذة بالقسم الداخلى. وقد ظل الحال كذلك حتى عام ١٩٠٨ م حين أضيفت سنتان دراسيتان ثانويتان للمدرسة. وحين تزايد عدد تلميذات مدرسة الأزبكية للبنات، بدأ التفكير فى عام ١٩٠٤ م فى شراء قطعة أرض خصصت لكلية البنات الأمريكية فى شارع عباس (رمسيس حالياً). وقد وهب السيد جون روكفلر فى عام ١٩٠٧ ثلاثين ألف دولاراً إضافة إلى تبرعات

---

(٢٨)إلياس الأيوبى: المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(29) Dunne: Op. cit., p. 409 أحمد عزت عبد الكريم: عصر إسماعيل، الجزء الرابع، ص ص ٨٤٩-٨٥٠؛)

المصريين التى بلغت ستة آلاف دولاراً. ووضع حجر أساس الكلية فى عام ١٩٠٨م، وقد افتتحت الدراسة بها فى عام ١٩٠٩ م وضمت فى سنتها الأولى(١٨٠) تلميذة. [٣٠]

لم تقتصر التجربة الأمريكية لتعليم البنات فى مصر على القاهرة فقط، ولكنها امتدت أيضاً الى الثغر السكندرى. وكانت الفكرة فى البداية تدور حول إنشاء كلية بروتستانتية، ولكن الفكرة باءت بالفشل، وتم الاتجاه صوب تأسيس مدرسة صغيرة. وفعلاً، تم تأجير منزل ليكون بمثابة مدرسة. وقد بدأت الدراسة بها فى عام ١٨٥٦. وقد أحرزت هذه المدرسة نجاحاً سريعاً، وبلغ عدد البنات بها ثمانين تلميذة من جنسيات وديانات متباينة كان من ضمنهن مصريات سواء كن مسلمات أو مسيحيات. [٣١]

وبجانب تنامى التجربة الأمريكية فى القاهرة والإسكندرية، نجد أنها قد انتشرت فى الأقاليم المصرية. ففى عام ١٨٦٦، تأسست مدرستان بالمنصورة، احداهما للبنات. وفى عام ١٨٩٥م، ثمة مدرسة للبنات قد تأسست فى طنطا، وفى عام ١٩٠٤م بالزقازيق وفى بنها أيضاً. ولم تقتصر مدارس البنات الأمريكية على الوجه البحرى فقط، ولكننا نلاحظ تواجدها فى الوجه القبلى حيث تأسست مدرسة البنات بالأقصر، التى أصبحت فيما بعد مدرسة داخلية تضم فى عام ١٩٠٤ م حوالى (٢٧٨) تلميذة. [٣٢]

ويلاحظ أن مدرسة البنات الأمريكية بأسيوط التى أسستها الإرسالية الأمريكية عام ١٨٦٥ م تعد الأبرز. وكانت تلميذات هذه المدرسة من المسلمات والمسيحيات. وقد بدأت بثلاث تلميذات ثم ازداد عددهم إلى عشرين تلميذة. وقد تأسس بالمدرسة قسم داخلى ضم أحد عشر تلميذة، منهن ثمانى تلميذات من أسيوط ذاتها وثلاث تلميذات من خارجها، استقبلت المدرسة خمس وخمسين تلميذة بالقسم الداخلى، أصبح ثلاثون منهن مدرسات. ونظراً لهذه الجدية والاستمرارية، بلغ عدد تلميذات المدرسة فى أواخر القرن التاسع عشر (١٤٩) تلميذة بالداخلى وأربع وخمسين تلميذة بالخارجى. وتكاد تتفق معظم

([30])جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبى، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٧.

([31])Dunne: Op.cit., p. 410؛ أحمد عزت عبد الكريم: عصر إسماعيل، الجزء الرابع، ص ص ٨٥١-٨٥٢؛

([32])Ibid : pp. 410-411

الدراسات المعنية بتعليم البنات فى مصر على أن هذه المدرسة قد تركت بصمات إيجابية فى البنية الفكرية والتربوية والاجتماعية للنساء الأسيوطيات.[٣٣]

ورغم كل هذا، فيجب الإقرار بأن ظاهرة تعليم البنات فى مدارس غير حكومية لم تقتصر على نشاط الجاليات الأجنبية والإرساليات التبشيرية التابعة لها، ولكنها امتدت أيضاً إلى المسيحيين المصريين عندما أسس الأقباط مدارس لتعليم البنات.

وجدير بالتسجيل هنا، نشاط طائفة الأقباط الكاثوليك الملحوظ فى مجال التعليم عموماً والبنات خصوصاً. ولا غرو؛ إذ كانت مدارسهم الابتدائية والثانوية منتشرة فى الصعيد بأسيوط وطهطا وأخميم وجرجا وقنا. وفى عام ١٨٧٦م، كانت حافلة بحوالى (٣٠٠) تلميذ وتلميذة من جنسيات وأديان مختلفة. ومما يلفت النظر أن المدارس الثلاث الأولى كانت مختلطة. وعلاوة على هذا، وقبل أن تفكر زوجة الخديو إسماعيل الثالثة فى تأسيس مدرسة السيوفية آنفة الذكر، أسست طائفة الأقباط الأرثوذكس مدرستين للبنات، احداهما فى حارة السقايين وثانيهما فى حى الأزبكية. وفى عام١٨٧٦م، ضمت المدرسة الأولى خمس وأربعين مسيحية وضمت الثانية ثمانين مسيحية تتلمذن على أيدى مدرسات شاميات اللغة العربية والأشغال اليدوية.[٣٤]

وعطفاً على ما سلف، لم تكن المحاولات الأهلية لتعليم البنات فى مصر مقصورة على المسيحيين المصريين والأجانب فقط، ولكن اتسعت دوائرها لتشمل الجمعيات الأهلية الإسلامية. وفى هذا السياق، تجلى نشاط جمعية العروة الوثقى بالإسكندرية، فقد اهتمت بنشر التعليم، وبلغ عدد المدارس التى أقامتها للبنات خلال الفترة من عام ١٨٩٢ م وحتى عام ١٩٠٧ م ست مدارس بها (٣٤١) تلميذة بالمصروفات و (١٧٢) تلميذة بالمجان و ثمانى عشر تلميذة بنصف مصروفات. وبلغ إجمالى عدد التلميذات (٥٣١) تلميذة.[٣٥]

---

(٣٣) Ibid: p. 411 .

(٣٤) إلياس الأيوبى: المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص ٢١٠-٢١٣ ؛ أحمد عزت عبد الكريم: عصر إسماعيل، الجزء الرابع، ص ص ٨٣٣-٨٣٩.

(٣٥) سعيد إسماعيل على: قضايا التعليم فى عهد الاحتلال، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤، ص ص ٢٤٨-٢٥١.

وبحلول عام ١٩١٢م ، ازدهرت جمعية العروة الوثقى وتوسعت فى نشر التعليم حتى بلغ من يتعلمون تحت إشرافها (٣٦٠٣) تلميذ وتلميذة موزعين على خمسة وعشرين مؤسسة تعليمية يخص البنات منها مدارس إسماعيل الأول وعباس الأول وتوفيق الأول ومنشاوى باشا(طنطا) وبنات الشيالين المختصة ببنات الحمالين بجمرك الإسكندرية والأمير عبد المنعم وحسن المسرات (الزقازيق) . وقد بلغ عدد تلميذات هذه المدارس (٩٠٦) تلميذة منهن (٢٩٣) تلميذة بمصروفات و (١٢٧) تلميذة بنصف مصروفات و (٤٨٦) تلميذة بالمجان. وقد أولت الجمعية اهتمامها البالغ بالتعليم، ورفعت نسبة المجانية فى مدارسها حتى بلغت هذه النسبة ٦٤٪ بين عامى ١٩١٨- ١٩١٩م . وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية ركزت نشاطها فى الأحياء التى يكثر فيها الفقراء فيها لحاجتهم إلى تعليم بناتهم الأعمال اليدوية وغيرها من الأنشطة المنزلية. [٣٦]

عند هذا الحد يتضح أن قضية تعليم البنات فى مصر قد اتخذت مسارين ، أحدهما حكومى رسمى والآخر أهلى غير رسمى. وتجدر الملاحظة بأن المسارين قد مضيا فى محازاة بعضهما وصبا أخيراً فى قناة واحدة هى: تنامى الاهتمام بتعليم البنات. وعدا مدارس الجاليات الأجنبية والإرساليات التبشيرية، لم يتميز التعليم الحكومى المختص بالبنات بإستراتيجية تعليمية واضحة المعالم. ولم ينبثق من أيديولوجية ترمى إلى استغلال نصف المجتمع على الصعيد العملى. ورغم هذه المثالب، تَعد تجربة تعليم البنات خلال الفترة من ١٨٣٢- ١٩١٨ م إفرازاً طبيعياً للتحولات الجذرية التى طرأت على مصر وتجسيداً للأفكار العامة التى هيمنت على الساحة الفكرية المصرية وقتذاك. ويلاحظ أن بعض المفكرين المصريين قد أسهموا بفاعلية فى تحريك الموقف التقليدى المتزمت بشأن تعليم البنات فى مصر على نحو ما سنتناوله فى الصفحات التالية.

فلسفة تعليم البنات

شغلت قضية تعليم المرأة اهتمام المفكرين والرائدات، وساد بينهم الاتفاق على هذا الحق الحيوى بالنسبة للمرأة، وتطرقوا لهذه القضية من جميع الجوانب، وانتقلوا بها من مرحلة لأخرى تبعاً للظروف

(٣٦)سامية محمد عبد الرحمن الشرقاوى: الجمعيات السياسية والاجتماعية والدينية ودورها فى المجتمع المصرى من ١٨٨٢-١٩٣٦، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ص ٢٢٥-٢٢٨

الاجتماعية المحيطة ، وبعد أن كانت الدعوة فى أول الأمر تنحصر فى مجرد التعليم لا لشئ سوى تثقيف العقل ونمو الفكر حتى وإن كان التعلم فى البيت، نجد النظرة قد تغيرت جزئياً ومرحلياً وصار النظر إلى التعليم على أنه جواز مرور للشهادات العلمية وبالتالى للوظائف والأعمال كوسيلة لكسب العيش وضمان الرزق.

وفى هذا الخصوص، يعد رفاعة رافع الطهطاوى(١٨٠١-١٨٧٣م) أول من دعا إلى نهضة المرأة وتعليم البنات أسوة بالبنين عندما ألف كتاباً لتثقيف البنات والبنين على حد سواء وسماه "المرشد الأمين للبنات والبنين" ، الذى دعا فيه إلى ضرورة تعليم البنات وإعدادهن عن طريق التربية والتعليم للعمل والقيام بواجبهن فى المجتمع، وفى هذا الشأن كتب الطهطاوى :" ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدباً وعقلاً ويجعلهن بالمعارف أهلاً، ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة. فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء".[٣٧]

وقد فند الطهطاوى الاعتراضات التى يسوقها خصوم تعليم المرأة لاسيما تلك التى يستند فيها أصحابها على أدلة دينية مؤكداً أن بعض الآثار فى هذا الصدد إذا صحت ، فإنه لا يؤخذ على إطلاقه على أساس أن هناك أموراً ورد التحذير منها، وحمل ذلك على ما يعقبها من شر وضرر محقق" وتعليم البنات لا يتحقق ضرره...". ويشكك الطهطاوى فى صحة الآثار المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: فكيف ذلك وقد كان من أزواجه صلى الله عليه وسلم من تكتب وتقرأ

(٣٧)رفاعة الطهطاوى: المرشد الأمين للبنات والبنين، دار الكتب المصرى، القاهرة، ١٢٠٢م، ص ١٤٣ .

كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر وغيرهما من نساء كل زمن من الأزمان. ولم يعهد أن عدداً كبيراً من النساء قد ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن. (٣٨)

وأردف رفاعة الحديث عن الآفاق التى يفتحها العلم أمام المرأة وكيف يفضل علمها جمالها ويدوم أكثر، وكيف يرفع قدرها فى نظر الزوج، ويثمر تربية صالحة ومتقدمة للأولاد فيقول:" إن تعليمهن فى نفس الأمر عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن، فلا شك أن حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة، والاطلاع على المعارف المفيدة، وهو من أجمل صفات الكمال، وهو أشوق للرجال المتربين من الجمال ، فالأدب للمرأة يغنى عن الجمال، لكن الجمال لا يغنى عن الأدب لأنه، عرض زائل، وأيضاً آداب المرأة ومعارفها تؤثر تأثيراً كبيراً فى أخلاق أولادها.إذ البنت الصغيرة متى رأت أمها تقبل على مطالعة الكتب وضبط أمور البيت والاشتغال بتربية أولادها، جذبتها الغيرة إلى أن تكون مثل أمها".(٣٩)

وبذا، امتدت جذور الدعوة إلى نهضة المرأة وتعليم البنات إلى رفاعة رافع الطهطاوى. ومن المفارقات ، أن كتاب الطهطاوى "المرشد الأمين" سالف الذكر طُبع لأول مرة عام ١٨٧٢م، وهى نفس السنة التى شهدت ميلاد أول مدرسة للبنات على النحو سالف الذكر. ولكن يجب التنويه هنا إلى أن دعوة رفاعة الطهطاوى لتعليم البنات تعود إلى ما قبل ظهور كتابه حينما كان عضواً فى مجلس ديوان المدارس سنة ١٨٣٧م. وفى هذا الشأن، يذكر يعقوب أرتين باشا فى كتابه " القول القام فى التعليم العام " أن هذا المجلس قدر ما لتعليم المرأة من الفضل فى النهوض بالمجتمع المصرى، فاقترح إدخال تعليم البنات فى مصر. ولكن الاقتراح لم يخرج إلى حيز التنفيذ أثناء حكم محمد على باشا لأن المجتمع ، حسب قول أرتين باشا، لم يكن يألف تعليم البنات فى المدارس، ولذا ، أكتفى الوالى المصرى بمدرسة الولادة لتخريج طائفة من القابلات المتعلمات.(٤٠)

وإذا كان رفاعة الطهطاوى رائد الدعوة إلى تعليم البنات، فإن على باشا مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣م) يعد المحرك الفعلى والعملى لتصعيد المسألة على درب الواقع عندما أبلى بلاء حسناً فى الإشراف على مدرسة السيوفية وإخراجها إلى النور. وبعيداً عن الدور الوظيفى لعلى مبارك، فثمة آراء وأفكار نظرية له جديرة بالتسجيل هنا. وفى هذا السياق، كانت دعوة على مبارك لتعليم المرأة ورأيه فيها ووضعها من الحياة العامة من الدعوات والآراء التى كان فيها ، مستشرفاً لآفاق المستقبل، فهو يدعو

---

(٣٨) نفسه: ص ١٤٥ .

(39)نفسه: ص ٢٢٧

(٤٠) يعقوب أرتين: المصدر السابق، ص ص ٨٤-٨٥

إلى تعليم المرأة ولا يفرض عليها الحجاب الصارم الذى كان يعرفه عصره ، بل يدعو إلى الاختلاط المهذب بينها وبين الرجل. بيد أن على مبارك لم يكن صريحاً مثل المفكر قاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٨م)، إذ أنه يلقى دعوته على لسان المستشرق الانجليزى فى كتابه المعروف " علم الدين"، وكانت الأوضاع التى يجد فيها على مبارك نفسه قواعد مجتمعه الصارمة لا تبيح له أن يتجاوز هذا الحد من العرض والتعريف ولكنا نشعر –وهو ينطق السائح الانجليزى بها فى الدعوة– أنه يؤمن بها ويتمنى أن يشاركه بنو وطنه هذا الإيمان. ومما يقوله على مبارك فى تبرير هذه الدعوة " أن المرأة المتعلمة أصون لنفسها وأحفظ لكرامتها وزوجها وأهلها من الجاهلة المحجبة، كما يقول أن المتاع الزوجى، وما يستوجبه من الحب لابد من أن يقوم على أساس المساواة، وإذا لم تكن بين الزوجين مساواة فكيف يوجد الحب أو يكون للألفة أثر بالقلب" لأن اللذة الطبيعية لا تكون إلا عند تساوى المتحابين، وخلوص الود بين الطرفين . [٤١]

وعلاوة على كتابات الرواد فى ميدان تعليم البنات، فإننا نجد أن القضية قد تبوأت مكانة بارزة على صفحات الصحف على اختلاف توجهاتها واتجاهاتها لاسيما مع ظهور صحف نسائية تبنت مسألة تعليم البنات وكرست صفحاتها وأوقفتها على تناول حقوق المرأة وضرورة تعليمها. ورغم أن الصحف النسائية التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد أصدرتها شاميات أو أجنبيات، فإن هند نوفل وإسكندرا إفرينو ولبيبة ماضى (١٨٨٠-١٩٤٧م) هاشم وروزا أنطون وزينب فواز (١٩١٤-١٩٦٠م) يمثلن طليعة الحركة النسائية التى انتقلت فيما بعد إلى المصريات .[٤٢]

وقد أجمعت الصحافة النسائية فى مصر من أمثال مجلة "السيدات والبنات"، و"الفتاة"، و"فتاة الشرق" و" أنيس الجليس" ، وغيرها على أن الآراء الواعية لتعليم المرأة قد تمحورت حول أهمية العلم وضرورته لأية أمة تريد أن تفيق من غفوتها وتهب من سباتها وتحرر عقول أبنائها من عبودية الجهل ، من منظور أن العلم هو عنوان القوة والتقدم والنجاح والاستقلال الحقيقى. وأن ذلك لا يتأتى إلا

---

(٤١) محمود الشرقاوى وعبدالله المشد: على مبارك- حياته ودعوته وآثاره، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ص ١٧٢-١٧٣؛ سعيد إسماعيل على: تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٢٦، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١١٦؛ حسين فوزى النجار: على مبارك أبو التعليم ، سلسلة أعلام العرب، رقم ، دار الكاتب العربى، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ص ١١٠-١١١.

(٤٢) كوثر محمد مروان: الصحافة النسائية فى مصر من نهاية القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٢م، ص ص ١٧٢-١٨٧.

بتعميم التربية الصحيحة والتعليم الحقيقى الذى يجب أن يعم الأمة كلها ولا يتغافل عن تعليم الفتاة باعتبارها المنوط بها تعليم أولادها وتثقيفهم وتهذيبهم وغرس الأخلاق الحميدة فى نفوسهم.(٤٣)

وإذا كانت جهود المفكرين ونشاط الصحافة قد ركزت على قضية تعليم المرأة وتربيتها، فإن هذه القضية قد تجلت فى كتابى قاسم أمين عن " تحرير المرأة" الصادر فى عام ١٨٩٩ م و"المرأة الجديدة" الصادر فى عام ١٩٠٠م. وقد تمحورت أفكارهما الرئيسية حول ضرورة تعليم المرأة وخروجها للعمل عند الضرورة، وقد تناول قاسم أمين فى كتاب " المرأة الجديدة": حق الفتاة فى حصولها على التعليم بجميع مراحله بالإضافة إلى التربية بكافة أنواعها من جسمية وأدبية وفنية وعقلية، حتى يمكنها الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة لتكون إنساناً يكسب عيشه بنفسه، وزوجة قادرة على أن تحصل لعائلها أسباب الراحة والهناء، وأم صالحة لتربية أولادها".(٤٤)

ومما يلفت الانتباه أن الاتجاهات الإصلاحية على اختلاف مضاربها وأفكارها قد تلقت دعوة قاسم أمين بضرورة تعليم المرأة بالتأييد والترحيب، التقى فى ذلك العلمانى والإسلامى المستنير. أما الاتجاه الأول، فقد مدح قاسم وبراعته فى عرض القضية وشجاعته ومجاهرته برأيه فى ضرورة الارتقاء بمكانة المرأة وتحريرها من أغلال الجهل وقيود الاستشراق حتى تشارك الرجل فى مسئولياته وتكون شريكة حقيقية فى مملكتها نافعة لأولادها ولزوجها.(٤٥)

أما الاتجاه الثانى، ويمثله الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥ م) تلميذ الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م)، فلم يبتعد عن الاتجاه السابق إزاء كتابات قاسم أمين حيث مدحه وامتدح كتاباته من منظور ما امتاز به من استقلال الفكر وحسن الرأى وقوة الإرادة والعدل فى الحكم. وحب الوطن، وأنه كرس جهده لقضية آمن بها ألا وهى مسألة تعليم المرأة وتهذيبها. وواصل رشيد آراءه قائلاً أن تقدم الأمم وتأخرها ، سعادتها وشقائها، استقلالها واستعبادها منوط بتربية المرأة، فمتى صلحت التربية صلح كل شئ والعكس صحيح، وأن كمال التربية يكون بتربية الذكور والإناث معاً.(٤٦)

ورغم الحماس الواضح لتعليم البنات على النحو سالف البيان، فإن الأمر لم يخل من وجود عناصر بعضها يتحفظ ويأخذ جانب الحذر فى تعليم المرأة وبعضها يعيقه صراحة. فقد ثارت، على

---

(٤٣) نفسه: ص ص ٢٠٥- ٢٠٨.

(٤٤) ماهر حسن فهمى: قاسم أمين، سلسلة أعلام العرب، رقم ٢٠، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ١٣٨-١٤٠، ١٥٥- ١٥٦.

(٤٥) نفسه: ص ص ١٨١- ١٨٥.

(٤٦) أحمد صلاح الملا: جذور الأصولية الإسلامية فى مصر المعاصرة- رشيد رضا ومجلة النار ١٨٩٨- ١٩٣٥، سلسلة مصر النهضة، رقم ٧١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص ٢٧٥-٢٨٠.

سبيل المثال، جريدة "المؤيد" وصاحبها الشيخ على يوسف ثورة كبيرة لمجرد أن أرسلت نظارة المعارف إحدى الطالبات المصريات فى بعثة إلى بريطانيا لإعدادها كمعلمة فى إحدى مدارس الحكومة أو لتكون ناظرة لمدرسة يوماً من الأيام. وفى هذا الأمر، ذكرت الجريدة: " وفعلاً سافرت الفتاة المشار إليها إلى أوروبا مصحوبة بجناب سكرتير المستر دنلوب الذى يقولون عنه أنه من أقاربها، أما الفتاة المذكورة فهى فى ريعان شبابها مكشوفة الوجه عائشة بين الأجانب، هذا، وقد وجهت جريدة المؤيد جملة من الأسئلة إلى المعارف:

١- أيجوز لفتاة مسلمة بالغة أن تعيش فى غير بيت والدها مكشوفة الوجه فى وسط الأجانب.

٢- ماذا تستفيد هذه الفتاة من إنجلترا؟ فإذا كان المقصود عادات الإنجليز فى معاشهن ومعاملتهن ، فهل هى فى حاجة إلى ذلك؟ وهل يفيدها ذلك فى تعليم الناشئات من أخواتها المسلمات؟

٣- كيف احتاطت المعارف لوقاية هذه الفتاة فى أثناء إقامتها فى إنجلترا؟

٤- أليس فى وسع المعارف أن تكمل تربية هذه الفتاة فى مصر لتشب على المبادئ الإسلامية والعادات الشرقية اللازمة لتربية أخواتها؟

ماذا يكون أمر المعارف إذا أرادت هذه الفتاة أن تتزوج وأراد زوجها أن تعيش معه فى بيته، هل تقدر المعارف حينئذ على منعها من ذلك بالتسلط على حريتها الشخصية؟ [٤٧]

وتعلق جريدة "اللواء" لصاحبها مصطفى باشا كامل (١٨٧٤-١٩٠٨م) على هذا وتقول مشايعة للاتجاه الرجعى :" نوافق جريدة المؤيد الغراء على ملاحظاتها ونرفع صوتنا للأمة أولاً وللحكومة ثانياً، نرفعه للأمة لتعتبر وتنتصح وتحذر عواقب التربية الأوروبية المحضة خصوصاً

(٤٧) المؤيد: الإثنين ٢٧ أغسطس ١٩٠٠، ص ٢ .

للبنات... ونرفع صوتنا للحكومة عساها تعتبر وتخجل من أن يرميها الناس بالتفرنج ومخالفة الشرع الشريف".[٤٨]

وعلى هذا النحو ثبت أن معظم المنظومة الفكرية المصرية صبت فى صالح عملية تعليم البنات ونهضة المرأة باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من البنية المجتمعية. ورغم وجود بعض الأصوات التى ناوءت الجهود الساعية إلى تعليم البنات، فإن تأثيرها فيما يخص قضية تعليم البنات سواء كانت علمانية أو دينية قد اتفقت على الحدود العامة لحرية المرأة وتعليمها ووسائل ارتقائها اجتماعياً شريطة عدم الخروج عما قدرته الأديان لها من حقوق وواجبات شرعية. ولعل هذا يدفعنا إلى التساؤل عن أهمية تعليم البنات ونوعية العلوم الملائمة لهن؟

منافع التعليم ونوعية المعارف

ساق بعض المفكرين المصريين عديداً من الأسباب الداعية إلى تعليم البنات. فمن منظور علاقة المرأة بالنسبة للرجل، تُعد المرأة شريكة للرجل ورفيقة حياته ومكملته منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولا ريب أن الارتباط التام بين الرجل والمرأة جعل لكل منهما تأثيراً عظيماً على الآخر. بيد أن تأثير المرأة على الرجل أشد من تأثيره عليها.

ومن منظور دينى، أوجب الله تلقى العلم على كل مسلم ومسلمة كما أوجب على أمهات المؤمنين أن يعلمن الناس ذكورهن وإناثهن. وبذا، كان الرجل يأتى إليهن ويستفتيهن ويتلقى ما يلقينه من أحكام الله ومكارم الأخلاق. وبذا، يتضح عدم وجود أى دخل لاختلاف الصنف أو الشعوب أو الأمم فى التفاضل، إذ جعل الله التفاضل بين الكائنات تابعاً لما بينها من الفضل والمزايا. ولعل هذا الإلحاح الواضح من الإسلام على وجوب تعليم المرأة هو ما جعل الشيخ حمزة فتح الله (١٨٤٩-١٩١٨م) يقول فى رسالة بعنوان " باكورة الكلام، على حقوق النساء فى الإسلام " تقدم بها إلى مؤتمر المستشرقين فى استوكلهم سنة ١٨٨٩" أن طلب العلم مشترك الوجوب بين الرجال والنساء، وبناء على هذا الأصل الدينى، فقد طالما برع منهن كرائم آدميات فى العلوم على ذوى العمائم".[٤٩]

---

(٤٨) اللواء: الخميس ٢٧ أغسطس ١٩٠٠، ص ٤ .

(٤٩) حمزة فتح الله: باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام ، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩١٨م، ص ص ١٧- ١٩.

وفى مجال السعادة الأسرية ، يلاحظ بصفة عامة أن نسبة المتعلمات أقل بكثير جداً من المتعلمين. ولذا، يكون من الطبيعى أن كل متعلم لا يستطيع إذا كبر أن يتزوج بمتعلمة. وتأسيساً على هذا، لا يمكن الحصول على السعادة العائلية، وهى بمثابة قاعدة جميع العادات الأخرى، لأن التعليم يوجد بين المتعلمين شبهاً عظيماً خاصة إذا كانت طريقة التعليم واحدة ولا سبيل إلى ملافاة ذلك الخطر إلا بإكثار عدد المتعلمات من البنات بقدر المستطاع. ولا ريب أن زواج المتعلم بغير المتعلمة يترتب عليه تباين واضح فى الرؤية إزاء كماليات وجماليات الحياة الزوجية بكل تداخلاتها وتداعياتها. وفى ميدان الإصلاح الأخلاقى، يتصور كثير من الرجال أن تعليم المرأة وعفتها لا يجتمعان حيث أنها ناقصة العقل شديدة الحيلة، وبالتالى، فإن تعليمها يؤدى إلى ازدياد براعتها فى الاحتيال والخدعة والاسترسال مع الشهوة. بيد أن هذه الصورة النمطية بعيدة كل البعد عن الحقيقة. إذ أن التعليم ، وخصوصاً إذا كان مصحوباً بتهذيب الأخلاق، يرفع المرأة ويرد إليها مرتبتها واعتبارها وليكمل عقلها ويتيح لها القدرة على التأمل والتبصر فى أعمالها. وتخشى المرأة المتعلمة عواقب الأمور أكثر مما تخشاه الجاهلة ولا تقدر بسهولة على ما يضر بحسن سمعتها بخلاف الجاهلة، فإن أخلاقها الطيش والرعونة. وباختصار تصان المرأة بتربية العقل والأخلاق ولا يصونها الجهل، ويعد التعليم الوسيلة النموذجية لكى يكون فى الأمة نساء يعرفن قيمة الشرف وطرق المحافظة عليه.(٥٠)

وفى إطار تغيير ظروف المجتمع، لاريب أن التحولات الجذرية فى كافة المجالات التى طرأت على مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر قد فرضت ضرورة تغيير الصورة النمطية المتوارثة عن المرأة من العصور السالفة. إذ أن المرأة فى ذلك الوقت لا تشبه المرأة فيما مضى لا فى الظاهر ولا فى الباطن وتختلف عنها فى الملبس والمآكل والمسكن وفى العادات والأخلاق والحاجات والضرورات. إذ أن الحاجة الاجتماعية –الاقتصادية التى فرضت نفسها فى مصر الحديثة تتباين تماماً عن مثيلتها قبل ذلك. (٥١)

وقد ذهب قاسم أمين نفس المذهب من أن النهوض التعليمى بالمرأة يساعد كثيراً على النهوض بالمجتمع ، وبالتالى، فهو ينظر إلى تربيتها على أنها ليست من الكماليات، وإنما هى من الضروريات التى يجب البدء بها والعناية بتوفير ما يلزم لها من إمكانيات وظروف مناخية ملائمة.

---

(٥٠)نفسه: ص ص ٢٠ – ٢٥ .
(٥١) نفسه: ص ص٢٥- ٢٧.

وينتهى قاسم أمين إلى أن تعليم المرأة يسهل كل إصلاح وعدم تعليمها يعيق كل إصلاح. ومن ناحية الوظيفة الاجتماعية، لاشك أن تعليم المرأة يساعد على القيام بوظيفتها الاجتماعية. إذ أن المرأة فى كل بلد تقدر بنصف سكانها على الأقل. ولهذا، فإن بقاءهن فى الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد المجتمع وفيه الضرر الجسيم ما لا يخفى. ولا شئ يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل قرينتها الغربية بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة إلا جهلها وإهمال تربيتها.(٥٢)

وقد كشفت الوقائع أن كثيراً من النساء لا يجدن من الرجال من يعولهن، ومن ثم يحتاج هؤلاء إلى التعليم ليتمكن من القيام بما يسد حاجتهن وحاجات أولادهن إن كان لهن أولاد. إن النساء يضعن أختامهن على حساب أو مستند أو عقد يجهلن موضوعه أو قيمته أو أهميته لعدم إدراكهن كل ما يحتوى عليه أو عدم كفاءتهن لفهم ما أودعه فتجرد الواحدة منهن من حقوقها الثابتة بتزوير أو غش أو اختلاس يرتكبه زوجها أو أحد أقاربها أو وكيلها، فهل يقع ذلك عندما تكون المرأة متعلمة؟ وقد صارت إدارة المنازل فناً واسعاً يحتاج إلى معارف كثيرة. ولكن أهم وأخطر وظائف المرأة تتمثل فى إعداد وتربية الأولاد لمغالبة الحياة. علاوة على أن الأم الجاهلة ليس فى استطاعتها أن تصبغ نفس ولدها بصبغة الأخلاقيات الراقية لأنها لا تعرفها. كما أنها تهمل فى شأن الرعاية الصحية. وفى هذا الخصوص ذكر قاسم أمين: " إننا لا نغالى إذا قلنا أن الأمهات الجاهلات يقتلن فى كل سنة من الأطفال ما يزيد على عدد القتلى فى أعظم الحروب".(٥٣)

تأسيساً على ما سبق اتفقت معظم الآراء والروئ على ضرورة تعليم البنات بصفة عامة. ولكن ثمة جدل أثير فى الدوائر الفكرية حول أنسب نوعية علوم تتلقاها البنات، وهل تكون كمثيلاتها التى تُدرس للأولاد أم تقتصر على علوم خاصة بها تفيدهم فى حياتهم البيئية بالأخص.

وتكاد تتفق الآراء على حتمية الاهتمام بالعلوم التربوية حتى يحسن غرسها فى الأسرة، بالإضافة إلى العلوم الثقافية والتاريخية واللغوية التى تنمى ملكات حب الوطن والثقافة العامة لدى أصحابها. وأكدت هذه الآراء على أهمية الاقتداء بأوروبا فى تأسيس مدارس متخصصة لتعليم الشئون المنزلية والبيئية كالخياطة والتفصيل والتصوير والرسم والحفر والموسيقى وغيرها من الأعمال التى تُساعد المرأة على قضاء أوقات فراغها، وربما تعود عليها بالربح المادى أيضاً. ناهيك عن تعليمها فنون الطهى باعتبارها من الفنون التى اهتمت بها أوروبا لتعلقها بصحة الإنسان حتى يكون الغذاء

---

(٥٢) ماهر حسين فهمى: المرجع السابق، ص ص ١٥١-١٥٤.
(٥٣) نفسه: ص ص ١٢٥ – ١٢٧.

نافعاً وصحياً ويشمل العناصر التى يحتاجها جسم الإنسان. كما طالبت هذه الأصوات بجدوى تعليم البنات الجغرافيا والحساب والكيمياء والتاريخ الطبيعى ومبادئ فن التمريض ومبادئ علم الاقتصاد وعلم الأخلاق...، كما يساعدها على القيام بدورها التربوى لأبنائها والقيام بأمور مملكتها الصغيرة.(٥٤)

وجدير بالذكر أن هذه الرؤى التى طرحها دعاة الإصلاح التعليمى فى مصر بالنسبة لتعليم البنات قد سعت إلى علاج القصور الواضح فى برامج تعليمها وإصلاح الخلل فى هذا النظام التعليمى وما حفل به من نقص واضح فى المقررات التربوية والبيئية المناسبة لها.

وقد ذهبت الدعوات الإصلاحية إلى فساد نظام تعلم البنات فى الفترة قيد الدراسة، وأنه تعليم نظرى بينما هى فى أشد الحاجة إلى تعليم عملى يفيدها فى حياتها الأسرية وأنه لا يأتى بالنتيجة المبتغاة منه كما دعت هذه الآراء إلى فتح الباب أمام المرأة فى كافة مراحل التعليم وصولاً إلى التعليم العالى، وصولاً إلى أن ذلك يسهم فى المزيد من الرقى للمرأة والمجتمع فى آن. ولم يعارض الاتجاه الإصلاحى الإسلامى ممثلاً فى الشيخ محمد رشيد رضا تلك الفكرة وإن حددها فى إطار إسلامى، حيث رأى حاجة المجتمع إلى تعليم المرأة الطب والجراحة ولاسيما القسم النسائى منه حتى تستطيع تطبيب النساء، لأنه من اللائق بآداب الإسلام أن تطبب المرأة بنات جنسها وكذلك الحال بالنسبة لمهنة التعليم، ومن ثم، فقد أكد هذا الاتجاه على أن المجتمع الإسلامى فى أشد الحاجة إلى المعلمة والطبيبة حفاظاً على العقيدة الإسلامية وتقاليدها.

خاتمة

وهكذا بينما شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلاد تعليم البنات بشقيه الحكومى والأهلى، شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر نمواً، وإن كان بطيئاً، فى عملية تعليم البنات،

(٥٤) سامية محمد عبد الرحمن الشرقاوى: المرأة فى مصر القرن التاسع عشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص٢٦٦- ٢٧١.

وقد تظاهرت السلطات الإحتلالية لمصر باهتمامها الشكلى بتعليم البنات، ولكن على أرض الواقع لم تتحقق خطوات فاعلة أو فارقة فى هذا المضمار. وقد أسهم المفكرون المصريون على مختلف مشاربهم الفكرية فى الدفع بعجلة الاهتمام الرسمى وغير الرسمى بتعليم البنات، ورغم تواضع الإنجازات خلال الفترة قيد الدراسة (١٨٣٢- ١٩١٩) فى مجال تعليم البنات، فإنها تُعد أرضية جد مهمة مهدت الطريق أمام كل الإنجازات التى حققتها المرأة المصرية خلال القرن العشرين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: وثائق منشور ة باللغة العربية:

١. فهرست القرارات والمنشورات الصادرة فى سنة ١٩٠١، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، ١٩٠٢.
٢. أمين سامى باشا: تقويم النيل، ستة أجزاء، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩.
٣. أمين سامى: تقويم النيل ، ستة أجزاء ، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م .

ثانيا : المراجع العربية

١. إلياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩)، جزءان، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٦م، الجزء الأول.
٢. أ.ب. كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠١١م.
٣. أحمد صلاح الملا: جذور الأصولية الإسلامية فى مصر المعاصرة- رشيد رضا ومجلة النار ١٨٩٨- ١٩٣٥، سلسلة مصر النهضة، رقم ٧١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤. أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر عصر محمد على، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م
٥. أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر عصرى عباس الأول وسعيد، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.
٦. أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر- عصر إسماعيل ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.
٧. أحمد لطفى السيد: صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية سنة ١٩٠٧- ١٩٠٩، القاهرة، ١٩٤٦م.
٨. جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، القاهرة، ١٩٦٣.
٩. جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ١٨٨٢-١٩٢٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.

١٠. حسين فوزى النجار: على مبارك أبو التعليم ، سلسلة أعلام العرب، رقم ، دار الكاتب العربى، القاهرة ، ١٩٦٧
١١. حمزة فتح الله: باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام ، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩١٨م.
١٢. رفاعة الطهطاوى: المرشد الأمين للبنات والبنين، دار الكتب المصرى، القاهرة، ١٢٠٢م.
١٣. سامية حسن إبراهيم : الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
١٤. سامية محمد عبد الرحمن الشرقاوى: الجمعيات السياسية والاجتماعية والدينية ودورها فى المجتمع المصرى من ١٨٨٢-١٩٣٦، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.
١٥. سامية محمد عبد الرحمن الشرقاوى: المرأة فى مصر القرن التاسع عشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠.
١٦. سعيد إسماعيل على: قضايا التعليم فى عهد الاحتلال، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤.
١٧. سعيد إسماعيل على: تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٢٦، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
١٨. سها عبد التواب عبد المجيد جودة: المرأة العاملة فى الصناعة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، فرع بنى سويف، ٢٠٠١.
١٩. سيد عشماوى: اليونانيون فى مصر ١٨٠٥-١٩٥٦، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٠. شكرى عباس حلمى : التعليم الابتدائى فى مصر، تطوره وأبعاده الثقافية، القاهرة، ١٩٧٨م،
٢١. عبدالله إمام: صفحات من تاريخ المرأة المصرية، الكتاب الذهبى، السنة ٣٣، العدد الأول، يناير ١٩٨٧م.
٢٢. كوثر محمد مروان: الصحافة النسائية فى مصر من نهاية القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٢م.
٢٣. لافيرن كونكة: أرواح فى خطر- الصحة العامة فى مصر القرن التاسع عشر، سلسلة مصر النهضة، رقم ٩٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٤. ماهر حسن فهمى: قاسم أمين، سلسلة أعلام العرب، رقم ٢٠، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣،
٢٥. محمود الشرقاوى وعبدالله المشد: على مبارك- حياته ودعوته وآثاره، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٦. يعقوب أرتين: القول التام فى التعليم العام، ترجمة : على بهجت، الطبعة الثانية، المركز القومى للترجمة، رقم ١٤٤٧ ، القاهرة، ٢٠١٠م .

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Dunne. J, Heywarth: An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1938,

رابعاً: الدوريات:

(١) المؤيد: الإثنين ٢٧ أغسطس ١٩٠٠.

(٢) اللواء: الخميس ٢٧ أغسطس ١٩٠٠.